جان جونيه : احاديث عن الثورة الفلسطينية

هذا المقال كتبه جان جونيه لشؤون فلسطينية . وهو تسجيل لما رآه وما استنتجه بعد اقامة دامت عدة أشهر بين الفدائيين والشعب في الاردن مباشرة بعد معارك ايلول ١٩٧٠ . وهو رد على أسئلة طرحناها عليه وناقشها مع شبان فلسطينيين في باريس والشرق . أجاب جونيه بصراحته المعهودة في كتاباته الادبية . اجاب ببساطة وعمق معا . بعض ملاحظاته قد يثير الدهشة ، والبعض منها قابل للنقاش . الا أن المقال من أوله الى آخره مطبوع باخلاص عميق وحب شديد للثورة والشعب . جونيه تكلم عن تأثير أجواء الثورة الفلسطينية على رجالها ونسائها وعليه هو أيضا ، وعن حاجات الشعب الفلسطيني ومطامحه وعن العقبات التي واجهها، عن المشكلة اليهودية وعن الفن والادب في الثورة . كل ذلك بلغة فرنسية جميلة يصعب ان تنقل الترجمة العربية كل مزاياها .

مرة أخرى نطرح أمام القارىء نظرة صديق من الخارج الى واقع عاشه ويعيشه شعبنا كل يوم ، حتى اصبحت بعض جوانبه جزءا من الطبيعة لا تلفت الانتباه . وهنا تكمن نقطة ضعف وقوة نظرة كهذه : ففي الوقت الذي لا يتمكن فيه الصديق مهما طالت اقامته وازداد تعلقه من استيعاب معطيات الوضع بشكل كامل ، الا انه احيانا اقدر من بعض المقيمين على لمس بعض القضايا التي عودتنا السنوات على اغفالها (واشير بصورة خاصة هنا الى ملاحظاته حول حياة المخيمات) . جونيه نظر بعينين مجردتين الا من الصداقة والصدق الى واقع يومي لشعبنا ومناضلينا : وبين الرؤى المتعالية السردية من جهة و« المفاهيمية » المجردة من جهة اخرى ، تاتي هذه الرؤيا بنفس جديد .

يتعرض المقال لاكثر من هذا ، ويطرق أكثر من موضوع وتتشابك المواضيع بدون تسلسل ، على نمط بعض اللوحات الحديثة . قد يجد القارىء في ذلك اضعافا للسرد ، الا ان المؤلف يرى غير ذلك ، وحافظنا بالتالي على النفس الذي وضعه ، ولم نقطعه الا بعناوين جزئية هي بالطبع ليست الا مؤشرات تسهل القراءة ولا تشكل تبويبا متناسقا .

بعض القضايا التي يطرحها الكاتب تحتاج الى توضيح ونقاش . اخص منها بالذكر : قضية العروبة والعمليات الخارجية ومشاكل الفن والادب في الثورة . بالنسبة للقضية الاولى نود ان نترك لجونيه مسؤولية ما كتبه وبالشكل الذي كتبه ، الا انه يهمنا ان نؤكد للقارىء وجهة نظرنا : نحن اعداء الفكر الشوفيني والتعلق باهلام ماضية تبرر عجزنا وتقاعسنا اليوم بحجة ما قمنا به في الامس الغابر من اسهام في « الحضارة الانسانية » ، الا اننا نعتز بماضينا ونعتبر ان فيه الكثير من الدروس التي تفيدنا في مسيرتنا الثورية وفي تعزيزها . ونحن ضد الفكر القومي الطوباوي الذي لا يأخذ بعين الاعتبار خاصية كل قطر وبالتالي كل نضال قطري في معركة التحرير الكبرى . الا اننا كذلك ضد الفكر الاقليمي الذي ينظر الى تحرير فلسطين بمعزل عن الثورة العربية ضد الامبريالية التي لا تشكل اسرائيل الا اقوى حلقاتها في المنطقة . نحن ضد « وحدة